مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 10/ العدد: 03- جوان (2024)

تاريخ الاستلام: 2024/04/01 تاريخ القبول: 2024/05/21 تاريخ النشر: 2024/06/30

إرهاصات تحويلية توليدية في النحو العربي

✍ جميلة بوتمر
d.boutmeur@univ-bouira.dzالمؤسسة
جامعة البويرة /الجزائر

Generative transformational precursors in Arabic grammar

✍ djamila boutmeur
d.boutmeur@univ-bouira.dz
university of Bouira / Algeria

مُلخص البحث

لقد كثر النقاش حول العلاقة بين النحو العربي واللسانيات الحديثة خاصة ما يتعلق بالنحو التحويلي التوليدي، لأن الملفت للنظر أن المبادئ التي ينادي بها التحويليون تتفق مع ما جاء به نحويو العربية في عدة جوانب أهمها : قضية العامل، السليقة، الأصل والفرع وغيرها .

فالنظرية اللسانية عند تشومسكي تسعى إلى تحليل مقدرة المتكلم على أن ينتج الجمل التي لم يسمعها من قبل وعلى أن يتفهمها . ذلك ما نجده عند العرب في مسألة الوعي العقلي في انتاج وتوليد وفهم اللغة.

الكلمات المفتاحية: النحو العربي؛ النحو التحويلي التوليدي؛ السليقة.

ABSTRACT:

There was a lot of talk about the relation between Arabic grammar and modern linguistics especially what concerns transformational grammar

Because the principals of the transformers agree with the arab grammarians in many sides, the most of important of them The origin and the branch and others.

The linguistic theory of Chomsky seeks to analyse the ability of the speakers to produce sentences that were never heard before and understand them. This is what we find among the arabs in the question of mental aware ness in producing, generating and understanding there language

Keywords: Arab grammar; generative transformational grammar;the stick.

1.مقدمة:

تتمحور الإشكالية في محاولة الربط بين جهود العلماء العرب القدامى في دراسة النحو العربي ونظرية النحو التحويلي التوليدي، وتقديم صورة عن نقاط التقائهما كما يحاول البحث الإجابة عن السؤالين الآتيين:

ماهي الخصوصيات التي تميّز بها الاتجاه التحويلي التوليدي؟

وماهي الجوانب التي يتقاطع فيها مع النحو العربي ؟

تشومسكي و أصوله النظرية:

"أفرام نوعم تشومسكي" "Avram Noam Chomesky" لساني أمريكي من عائلة روسية إسرائيلية، ولد في مدينة "فيلا دليفيا" بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 1928م. (1)

يعتبر هذا اللساني من أبرز اللسانيين المحدثين اللذين تناولوا اللّغة بمنهج مغاير، من المنهج الوصفي المحض إلى منهج آخر جديد و هو ما يعرف بالمنهج التحويلي،Transformational Grammar. والحق أن تشومسكي يمثل ثورة حقيقية لأنّه فرض الدعائم التي يقوم عليها علم اللغة الحديث، وأقام بناء آخر يختلف في أصوله لاختلاف نظرته إلى اللغة .

لقد رفض "تشومسكي" آراء الوصفيين، خاصة تلك المتعلّقة بإخراج كل المواد التي لا تخضع للملاحظة المباشرة. و رفض أيضًا وصف السطح اللغويّ بمقاييس المنبه و الاستجابة، و معاملة الإنسان باعتباره آلة تتحرك حسب قوانين تحددها مواقف معينة. و أنكر فكرة الوصف الآلي خشية السقوط في التأويلات الميتافيزيقية.

« لعلّ أهم ما يميز "تشومسكي" أنه يسعى إلى إقامة "نظرية عامة" للغة تصدر عن اتجاه عقلي.....وهذه النظرية العقلية تنبني في جوهرها على ما يمكن تسميته "بلا نهائية" اللّغة »(2). و مفاد ذلك أن كل لغة تتكون من مجموعة محدودة من الأصوات والرموز الكتابية، ينتج المتكلّم ويولد ما لا نهاية له من الجمل. فالأمر يتعلق بطبيعة اللغة بما تتصف به من الإبداعية و الخلق عند المتكلّم المستمع المثالي، الذي يشترطه "تشومسكي" كي يخلق جملا و يولّد نصوصًا و يخلق عبارات لم يسمعها و لم يقلها من قبل. فالإنسان يتميّز بالقدرة على اللّغة.

إنّ الوصف المحض للّغة جعل "تشومسكي" يقيم منهجه معلنا الفروق الواضحة بين منهجه ومنهجهم. « و معنى ذلك أن اللغة التي ننطقها فعلاً إنّما تكمن تحتها عمليات عقلية عميقة، تختفي وراء الوعي بل وراء الوعي الباطن أحيانا و دراسة الأداء "أي دراسة بنية السطح...تقدّم التفسير الصوتي، أمّا دراسة الكفاءة" أي بنية العمق فتقدم التفسير الدلالي لها ». (3)

وهذه النظرية تبيّن مهمة النحويّ عند "تشومسكي" ليس تحليل الجملة في شكلها النظمي فحسب، ولكنه الوصف الشامل للغة، أي أنّه يشمل الفونولوجيا، و النظم و الدلالة.

وقد صدر عن العلماء العرب مثل هذا التصور، ويظهر ذلك في قول "ابن حزم": « أنا أتكلم فأنا أعقل، فأنا موجود، وبذلك كانت اللغة من السّمات التي تميّز بها الإنسان عن الحيوان ». (4)

يستند المنهج التحويلي إلى أساسين كبيرين في التنظير هما: التوليد والتحويل. واستعمل كلا الاصطلاحين وأطلقا ما يعرف بالقواعد التحويلية التوليدية.

« Generative Transformation ».

« و مفهوم التوليد أخذ من معنى الكلمة "يولد" أو يخلق Generative، و هو مفهوم يرتبط في ذهن تشومسكي بالتوليد الرياضي متأثرًا بالعلوم الرياضية، أي قابلية المعادلات الرياضية من توليد قيم لا نهاية لها، فهو ليس مفهومًا معياريًا لقواعد اللغة، أي فرض الصواب و الخطأ بالنسبة إلى الكلام الفعلي الذي يستعمله الناس ». (5)

فالاعتماد على العقل جعل لنظرية تشومسكي مصداقية و منطقًا، في اعتماد الإنسان على وعيه في التوليد و التحويل.

أصبح هدف الألسنية مختلفًا عن الألسنية التي كانت قبله: فتشومسكي يتخطّى هدف وصف اللّغة باتجاه هدف تفسيرها و تحليل تركيب البنية اللغوية و تحوّلها من بنية إلى بنية أخرى، بالاستناد إلى حدس المتكلّم و معرفته الضمنية بقواعد لغته .

فالنظرية الألسنية عنده ينبغي أن تحلِّل مقدرة المتكلم على أن ينتج الجمل التي لم يسمعها من قبل وعلى أن يتفهمها. بالإضافة إلى اتفاق "تشومسكي" و النحويين العرب القدماء في مسألة الوعي العقلي في إنتاج و توليد و فهم اللغة، فإنّنا نجد اتفاقه أيضًا معهم في تعريف النحو و تبيان مهمّة النحويّ.

2- مسألة النحو عند العرب و التحويليين التوليديين:

أ- مفهوم النحو عند التحويليين:

النحوُ نظام من الأحكام قائم في عَقْل أهل اللغة، يكتسب في الطفولة المبكّرة عادة، و يسخَّر لوضع أمثلة الكلام المنطوقات و فهمها. و « أنّ النحو نظرية يقيمها اللغويّ مقترحًا بها وضعًا لسليقة "Compétence" المتكلّم ». (6)

و المتأمل في التعريفين السابقين يدرك أنّ الذي يعرف لغةً معرفة تامة على وجه الاكتساب شأن أبناء اللغة الذين يكتسبونها اكتسابا، و تتحقق فيهم السليقة و يتقاطع هذان التعريفان مع التعريف الذي وضعه ابن جني بأنّ النحو: « انتحاء سَمْت كلام العرب في تصرُّفه من إعراب و غيره، كالتثنية و الجمع، والتحقير و التكسير و الإضافة و النسب و التركيب و غير ذلك، ليلتحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها و إن لم يكن منهم، و إن شذّ بعضهم عنها رُدَّ به إليها ». (7)

فالنحو عند ابن جني ليس مقتصرا على ظاهر التركيب بل ينتظم مستويات الإعراب و التركيب، والبنية مستهدفا الجانب الباطني للجملة التي تنتج عن سليقة متكلم لغة ما.

فالشرط الوحيد عند "ابن جني" لإنتاج لغة ما هو اكتساب سليقة أهلها يلتحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها.

و هذا ما يدعو إليه "تشومسكي" في نحوه التوليدي و هو القدرة أو الملكة La Compétence و هو « مفهوم أساسي يعني المعرفة الضمنية التي يمتلكها المتكلم عن لغته. هذه المعرفة تستلزم ليس فقط أهلية الفهم و إنجاز عدد غير متناهي من الجمل الجديدة و لكن أيضًا كفاءة التعرّف على الجمل سيّئة التشكيل واحتمال تفسيرها .

إضافة إلى استعانة المتكلّم في كل أحوال الخطاب بالمعجم أو قاموس اللغة و الذي هو مجموعة الوجوه الصرفية المعجمية المحدّدة في أصناف من الخصائص المميّزة للوحدة اللغوية، فهذا كان حال اللغة العربية أثناء جمعها و وضع نحوها والتي وصفها "محمّد الطنطاوي": « كانت اللّغة العربية لغة المشافهة، نشأت في أحضان جزيرة العرب، خالصة لأبنائها منذ ولدت نقية سليمة ممّا يشينها من أدران اللّغات الأخرى». (8)

ب- **تعريف النحو عند العرب:**

هو ما يعرف بالنحو المعياريّ أو التقعيديّ و قوامه المنطق، و هدفه التمييز بين الصحيح و الخاطئ في الاستعمال، وهو من أقدم الممارسات التي تتناول اللغة بالدراسة و التحليل. يسعى إلى وضع القواعد التي يستعملها المتكلّم في لغة معيّنة، والنحوي لا يهتم باللّسان كواقع و إنّما باللّسان النموذج من أجل تحقيق استعمال أمثل للّسان.

والنحو عند ابن جني: « هو انتحاء سمت كلام العرب، في تصرّفه من إعراب و غيره »(9). والقصد من ذلك اقتفاء الأثر أو تتبّعه من أجل أن يحذو المتكلّم حذو العرب، ويواصل ابن جني كلامه في نفس المضمار ليُبيّن الهدف أو الغاية وهي أن يلحق من ليس عربيا بالفصاحة.

نجد أن ابن جني اعتبر النحو صناعة من الصناعات تماثل كلام العرب و تتّبع خطاهم، بغية أن يلحق غير الفصيح من أبناء العرب أو العجم بالفصيح.

3- **السليقة:**

يميّز التحويليون بين السليقة "Compétence" و هي « نظام اللغة الباطن المكتسب عن أبناء اللّغة، و بين أمثلة الكلام التي تصدر عنها على نحو لا ينحصر في مواقف الأداء "Performance" انجاز ما ليس له نهاية من الكلام لما له نهاية من الأدوات.

نستطيع القول أن هذا المبدأ اهتدى إليه النحويون العرب حيث أمعنوا النظر إلى الأصول التي صدر منها العرب أصحاب السليقة الفصحى و ذلك ما نجده عند ابن جني « أنّ العرب أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها و حملناه عليها ». (10)

فالعرب كانوا في مخاطباتهم العادية فصحاء دون حاجة منهم لقواعد تضبط ألسنتهم. فتلك هي السليقة التي تمتع بها العرب و تلك هي القدرة التي تحدث عنها تشومسكي.

4- الأصل و الفرع:

منذ نشأ النحو العربي، اشتغل اللّغويون العرب بالبحث في مسألة الأصل و الفرع فقرروا أن النكرة أصل و المعرفة فرع، و أن المفرد أصل للجمع و أنّ المذكر أصل للمؤنث و أن التصغير و التكسير يردان الأشياء إلى أصولها. و هذا ما رآه التحويليون و اعتبروه قضية أساسية في فهم البنية العميقة و تحوّلها إلى بنية سطحية.

و من الأصل و الفرع نذكر جملة: كان و أخواتها، كاد و أخواتها و إنّ و أخواتها، لا النافية للجنس، فهي فروع متحولة عن أصل واحد هو الجملة الإسمية المتكونة من المبتدأ و الخبر إضافة إلى هذا باب: ظن الذي ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ و خبر. و النحو يتمثل في مجموع المحصول اللساني الذي تراكم في ذهن المتكلمة باللغة "La Compétence" الكفاءة اللسانية والاستعمال الخاص الذي ينجزه المتكلّم و الذي يعود إلى القدرة "La Performance ".

و لقد أضاف "تشومسكي" مفهومًا آخر هو الشبكة النحوية "Composante" والذي يعني البنية النحوية، مكونة من قسمين كبيرين: الأصل الذي يحدد البنيات الأصلية و التحويلات التي تمكن من الانتقال من البنية العميقة المتولدة عن الأصل إلى البنية الظاهرة التي تتجلى في الصيغة الصوتية و تصبح بعد ذلك جملا منجزة بالفعل.

وهكذا يولّد الأصل ضربين من التركيب، و يعني أن ملمح نظرية الأصل و الفرع يمكن أن يطبقا أيضًا على البنية العميقة وهي الأصل التي تتفرع عنها بنيات تركيبية كثيرة في البنية السطحية، لا يمكن أن تصح إلاّ بنقلها إلى قواعد صوتية، و تطبق مجموعة من القواعد النحوية التي تحدد العلاقات بين مكوناتها، و يمكن تصنيفها بالرموز التالية:

ت س + ت ف و ت س : هو رمز للصنف الاسمي.

ت ف : رمز للصنف الفعلي و العلاقة النحوية هي علاقة الفعل بالفاعل.

يلتقي النحو التحويلي و النحو العربيّ في تميزهما لنوعين من الجمل في اللّغة: بسيطة و مركّبة، وتتكون المركّبة من جمل بسيطة، و يسعى النحو التحويلي إلى إيجاد الأحكام التي يمكن بتطبيقها تحويل الجمل البسيطة إلى جمل مركّبة.

و نفس المسعى يتجه إليه النحو العربي، و هذا ما نجده عند "سبويه" في باب المسند و المسند إليه: « و هما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، و لا يجد المتكلّم منه بُدّا، فمن ذلك الاسم المبتدأ و المبني عليه، و هو قولك: عبد الله أخوك. و هذا أخوك. و مثل ذلك: يذهب عبد الله فلا بدّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأوّل بدّ من الآخر في الابتداء. و ممّا يكون بمنزلة الابتداء قولك: كان عبد الله منطلقًا، وليت زيدًا منطلق، لأنّ هذا يحتاج إلى ما بعده كاحتياج المبتدأ إلى ما بعده ». (11)

فالجملة هي الكلام المركّب تركيبًا اسناديا، الذي يفيد المعنى و الذي يحسن السكوت عليه، و المسند و المسند إليه، هما الدعامة الأصلية في الجملة، و يمكن تقسيم الإسناد إلى نوعين: إسناد اسمي و إسناد فعلي. و من هذين النوعين تنتج الجملة البسيطة و المركبة.

« واعلم أن الاسم أوّل أحواله الابتداء، و إنّما يدخل الناصب و الرافع سوى الابتداء و الجار على المبتدأ. ألا ترى أن ما كان مبتدأ قد تدخل عليه هذه الأشياء حتى يكون غير مبتدأ. و لا تصل إلى الابتداء ما دام مع ما ذكرت لك إلا أن تدعه، و ذلك إذا قلت: عبد الله منطلق، إن شئت أدخلت (رَأَيْتَ) عليه فقلت: رأيت عبد الله منطلقًا، أو قلت: كان عبد الله منطلقًا، أو مررت بعبد الله منطلقا، فالمبتدأ أوّل جزء كما كان الواحد أوّل العدد و النكرة قبل المعرفة».[12]

فالأصل هي الجمل البسيطة و المركبة هي الفرع التي تتكون من تفرعات الجملة الأولى الأصل، مثل ما يحدث في الجملة الاسمية الأصل و تفرعاتها بعد دخول النواسخ و الجملة الفعلية الأصل و تفرعاتها بالنواصب و الجوازم و التعدّي و خلق باقي فضلات اللغة.

5- الاهتمام بالمعنى:

جعل "تشومسكي" و أتباعه المكوّن الدلالي مكونًا رئيسيًا، في دراسة الجملة، فأصبح تشكيل الجملة في النحو التوليدي يتضمن منظومتين من القواعد.

الأولى: هي الأساس الذي تتولد منه البنية العميقة للجملة و هذا يعبّر عنه بالمولّد الدلالي الذي يمنح الجملة معناها.

الثانية: هي المولّد التحويلي الذي ينتقل بالبنية العميقة إلى بنية سطحية و هذه بدورها يعبّر عنها بالمولّد الصوتي الذي يمنحها اللفظ، و هكذا فإنّ توليد جملة كاملة يتضمن المراحل التالية.[13]

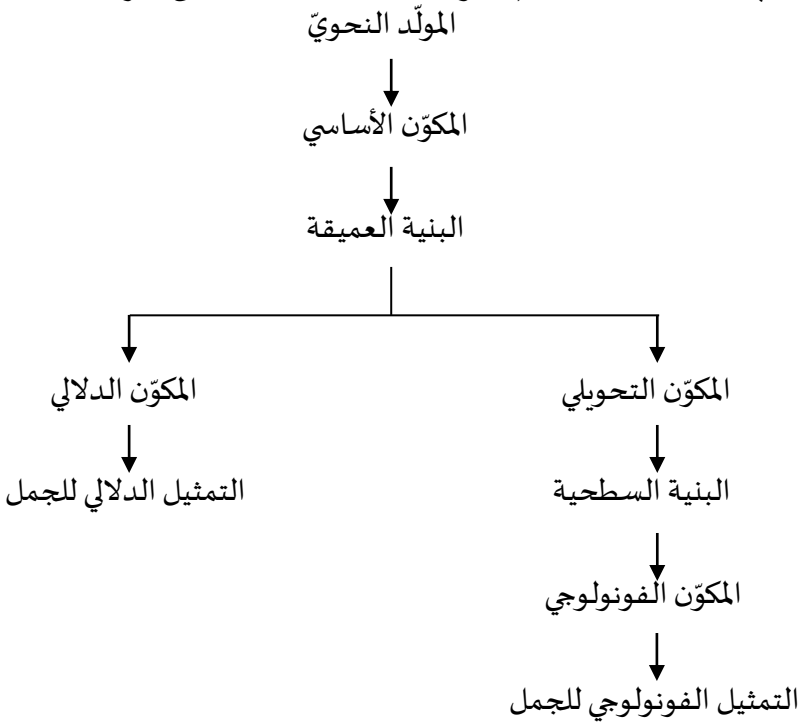

فمصطلح القواعد عند التحويليين يشمل المستوى الصوتي و الصرفي و النحويّ و الدلاليّ.

وكان اهتمام النحاة العرب بالجانب الدلالي واضح من خلال اهتمامهم بالإعراب.

وقد أشار السيوطي: « أنه قد يتجاذب المعنى و الإعراب الشيء الواحد، بأن يوجد في الكلام، أن المعنى يدعو إلى أمر، والإعراب يمنعُ منه، والتمسك به صحة المعنى، ويؤول لصحة المعنى الإعراب».(14)

نركز في هذا الصدد على أنّ "تشومسكي" قد آخذ على البنيويين أنهم اقتصروا على ظاهرة اللّفظ عند التحليل: « فظلّ عنهم أن يفسّروا بذلك جملا لها تركيب خارجي واحد و لكن معانيها مختلفة، و جملا لها تراكيب خارجية مختلفة و لكنّها ذات معنى واحد ». (15)

وقد يكون سبب تعدد المعنى في الجملة الواحدة أن إحدى مفرداتها لها معان متعدّدة، مثل كلمة "عيْن" في اللغة العربية التي لها معاني كثيرة و الذي يفسرها قرائن مختلفة.

ويقول سبويه: « اِعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، و اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين. و يواصل سبويه، ويضرب أمثلة اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين وهو نحو: جلس وذهب واختلاف اللفظين و المعنى واحد نحو: ذهب وانطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة، وأشباه هذا كثير».(16)

ما ذهب إليه "سبويه" كان نتيجة إيمانه بأنّ التعبير عن المعنى المتوحد يتخذ في اللغة أشكالا متعدّدة، و ذلك انتبه إليه من أمثلة الاستعمال الجاري، بعد تحليله. و يعقد "ابن جني" في الخصائص بابا في إيراد المعنى المراد بغير اللفظ المعتاد فيقول فيه: « إعلم أنّ هذا موضع قد استعملته العرب، واتبعها في العلماء. و السبب في هذا الاتساع أنّ المعنى المراد مفادٌ من الموضعين جميعا، فلما آذنا به و أدّيا إليه سامحوا أنفسهم في العبارة عنه...». (17)

ففي اللغة التي تستعمل في مواقف مختلفة في الحياة نجد للمعنى الواحد ألفاظًا عديدة و للفظ الواحد معاني مختلفة بتعدّد الاستعمال و تنوّعه:

وهذا ما يعرف بالترادف والمشرك اللفظي في اللغة العربية ، ومن الأسباب التي ساعدت على ظهور الترادف: الاختلاف في اللهجات ، إذ يكون للشيء الواحد أسماء عدة ، لأن كل لهجة تطلق عليه اسما أو يكون له اِسم واحد وصفات مختلفة إضافة إلى ظاهرة الاقتراض من اللغات الأخرى، الشقيقة والأجنبية. كما لا ننسى التطور اللغوي والدلالي في اللغة وإهمال الفروق الدلالية والمجاز والتساهل في الاستعمال.

أما عن المشترك اللفظي فهو ما اتفق لفظه واختلف معناه فلا تختلف أسباب ظهوره عن أسباب ظهور الترادف.

6- البنية السطحية و البنية العميقة:

و كانت أحد دعائم ثورة "تشومسكي" على البنيوية إهمالها للمعنى، و أن في كل لغة وحدات من جمل لها معان كثيرة، وقد يكون سبب تعدّد معنى جملة ما أن إحدى مفرداتها لها معان متعدّدة، كما في

جملة: جلست إلى جانب العين، فتعدّد معاني هذه الجملة يعود إلى تعدّد معاني كلمة عين التي تتميز في اللغة العربية بعدد معانيها الكبير، ومن أمثلة ذلك : عين الماء وعين الجيش(قائده) وعين القوم (شيخهم) أو جاسوسهم الذي يلتمس أخبار الناس خفية، وربما عضو الإبصار للإنسان وغيره من الحيوان والعين: النفيس من كل شيء.

والبنوية لا تهتم بهذا الجانب و لا تعوّل على المعنى في التحليل اللغويّ، و تترك المعنى لممارسات لغوية أخرى مثل علم النفس، و يلتقي تشومسكي مع النحاة العرب و يؤيّد موقفهم في عدم الأخذ بظاهر الجملة و سطحيتها لأنّها قد تخفي بنية عميقة مغايرة. « و لقد شكل استحداث مفهوم البنية العميقة أو المقدرة للجمل التي لا تظهر على الدوام في البنية السطحية عنصرا أساسيا في ثورة تشومسكي اللغوية».[18]

وهذا الموضوع عالجه النحاة العرب في إطار قواعد الإضافة معالجة تؤكد معرفتهم لافتراق المعاني، وما قد يؤدي إليه من اللّبس، ممّا يوحي إلى اكتمال معنى البنية العميقة عندهم.

وقد وضع التحوليون جملة من القواعد حاولوا بها تفسير العلاقة بين البنى السطحية والبنى العميقة الكامنة تحتها «وقد كان هذا كلّه ممّا استتبعه لدى النحويين العرب التفاتهم إلى أنّ اللغة ليست ظاهرا سطحيا متوحدا و أنها قد يتوحّد فيها الظاهر على تعدّد المعنى. و قد يختلف الظاهر منها على معنى متفق. و في عدم القدرة على تفسير الجمل الملتبسة و ذلك مثل: "الرجالُ والأولاد الأقوياء" و جملة "نقد زيد نقد مبرر" و ذلك بالإشارة إلى أن أمثال هذه الجمل يحتمل أكثر من معنى، ففي الجملة الأولى قد يكون المقصود: نسبة القوة إلى الرجال و الأولاد جميعًا، و قد يكون المقصود بنسبة القوة إلى الأولاد فقط، وفي الجملة الثانية قد يكون النقد موجهًا إلى زيد و قد يكون موجهًا من زيد .

و قد حاول التحويليون تفسير هذه الجمل بردها إلى بنيتين عميقتين متغايرتين، و من ثم مثلوا هذه الجمل بمشجرين للجملة الأولى.[19]

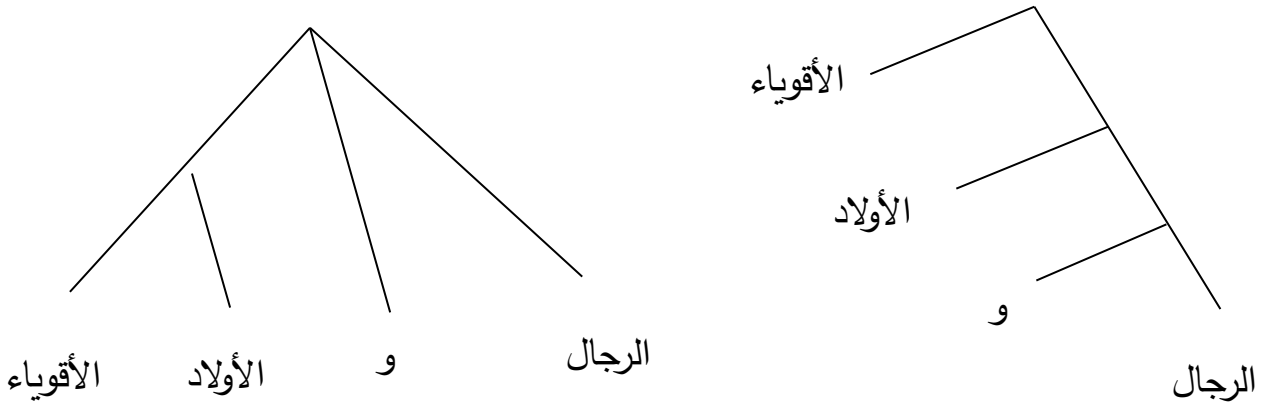

إنّ السمة الإبداعية في اللغة مرتبطة بالبنية العميقة التي يستعين المتكلم بمجموعة القواعد التي تكونها، في التعبير والفهم. فالقواعد الضمنية تمثل للإنسان مخزنًا لا نفاذ له من جمل و عبارات مخزونة يستعمل منها ما يشاء وقت ما شاء دون تكلّف ظاهر، و أن يفهم بموجبها جميع ما يراه أو يسمع به أو يقرأه من الجمل و العبارات، و هي قدرة للإنسان غير محدودة بل متجدّدة في كل زمان و مكان .

7- قضية العامل:

تعتبر قضية العامل أكثر القضايا التي كثر فيها الحديث في النحو العربي، و التحويليون يقررون أن النحو ينبغي أن يربط "البنية العميقة" و "البنية السطحية" و البنية العميقة تمثل العملية العقلية أو الناحية الإدراكية في اللغة و دراسة هذه البنية تقتضي فهم العلاقات لا باعتبارها وظائف على المستوى التركيبي، ولكن باعتبارها علاقات للتأثر و التأثير.

و يفسّر تشومسكي قضية العامل بما يحدث بين وحدات اللغة من تأثير و تأثر. و التحويل والتوليد اللذان يقوم بهما متكلّم اللّغة في البنية العميقة و هذا ما نجد له جذور في النحو العربي من قواعد الحذف والإحلال، و التوسع و الاختصار، الزيادة و الترتيب، و يتضح الأمر أكثر عند التطرق إلى مفهومي التعليل و التفسير.

8- مفهوم التعليل و التفسير:

يقترب مفهوم التفسير في النظرية التوليدية التحويلية من مفهوم التعليل في النحو العربيّ، و ذلك في سعيهما إلى تجاوز الوصف المحض للظاهرة اللغوية نحو تفسيرها تفسيرًا علميًا، فيه برهان على صحة القواعد التي تنتج أنماط الكلام المختلفة.

لكن التفسير عند تشومسكي و أتباعه عام في منطلقاته، فهو يشمل اللغة في أنظمتها النحوية والصرفية و الصوتية والدلالية، و غايته تفسير الظاهرة اللغوية و محاولة بناء نحو كلي تنتظم به لغة البشر.

أما التعليل في النحو العربي فهو بيان علّة الشيء، و هو تفسير اقتراني يبيّن علّة الإعراب أو البناء على الإطلاق و على الخصوص وفق أصوله العامة، فهو يبيّن علّة الإعراب أو البناء.

فمن تعليلات الوصف أنّه كان يناظر بين النصوص، فيقرن بين النظير و النظير الذي يشبهه، ففي الكتاب «ونظير "لات" في أنه لا يكون إلاّ مضمرا فيه "ليس" و "لا يكون" في الاستثناء إذ قلت أتوني ليس زيدًا، و لا يكون بشرًا».[20] فتناظر "لات" و "ليس" و "لا يكون" في الاستثناء أتاح له تعليل إضمار اسم (لات).

فالتفسير الذي نادت به النظرية التوليدية هو نظام من التعليلات على شكل مجموعة من النظريات والمبادئ تفسّر انتظام الظاهرة اللغوية. و في كل ذلك اعتماد على العقل، حيث يعدّ تشومسكي « اللغة وحدة من وحدات العقل، والنحو نتيجة لإكمال العقل في تركيب اللغة.

فاعتماد تشومسكي على العقل في تفسير الظواهر اللغوية نقد صريح للمنهج الوصفي الذي يسوي بين جملة مثلا: "جاء فريد" و "جاء البحرُ" فلو اكتفينا بالوصف و لم نتعداه نعتبر الجملتين صحيحتين نحويا و مقبولتين في بنيتهما السطحية، لكن بالاعتماد على العقل و التفسير ندرك أن فاعل الجملة الثانية لا يحمل صفات الفاعل الدلالية في الجملة الأولى.

9- الحذف وقواعد الترتيب:

الحذف عنصر من عناصر التحويل، التي تتحول البنية العميقة من خلالها إلى بنية سطحية ذات دلالة خاصة والتحويليون بالمعادلة الرياضية التالية [21]:

أ + ب ← أ = ب ⊅ أ.

أ + ب ← ب = أ ⊅ ب.

و ذكر النحاة العرب القدماء، أنّ أسباب هذه الظاهرة: هو كثرة الاستعمال. مثل كثرة استعمال "أما" و حذف الفعل بعدها . و قد يقع الحذف لوجود قرينة دالة على تعيين المحذوف و هذه القرينة يمكن أن تكون لفضية مثل قول الفاعل في الإجابة عن السؤال: "ممّا تشكو"؟ فيجيب: "من الصداع".

و التقدير ضروري في بعض المواقف الخطابية و لقد اعتبر التحوليون الترتيب عنصرًا من عناصر التحويل في الجملة، و مفاد ذلك هو إحلال عنصر مكان عنصر آخر فيها. و لكن يؤدي ذلك عند النحاة العرب إلى أثر ظاهر من الناحية التركيبية و الدلالية و هو انتقال الكلمة من حالة إعرابية إلى أخرى، مثل ما ذكر سبويه في الكتاب: « إنّ نعت النّكرة إذا تقدّم عليها أعرب حالا ». [22]

إنّ أسلوب التقديم و التأخير من الأساليب التي عرفت بها اللغة العربية، فنجد تقديم الخبر وجوبا وجوازا و تقديم المفعول به على الفعل وجوبًا. والتقديم والتأخير أهم مبحث في علم المعاني وأهميته تظهر في أنه يكسب اللغة مرونتها وطواعيتها فهو يسمح لمستعمل اللغة أن يتحرك بحرية متخطيا الرتب المعتادة . وذلك لأغراض كثيرة أهمها : لفت النظر إلى جزء من الجملة بوضعه في المقدمة أو التخصيص أو لإكساب الكلام جمالا و تأثيرا.

إن البعد الزمني الفاصل بين بيئة ظهور النحو العربي وبيئة ظهور اللسانيات التوليدية التحويلية، يجعلنا نتعجب من الشبه والتقاطع الظاهرين جليا بين مباحث النظريتين.

قائمة المصادروالمراجع

المصادر:

1. ابن الأنباري، لمع الأدلة، تح: سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية.
2. ابن حزم، (د.ت)، الإحكام في أصول الأحكام، ط2، ، مصر، مطبعة الإمام.
3. ابن هشام الأنصاري، (1964)، معنى اللبيب عن كتب الأعاريب، ج1، تح: مازن المبارك، حمد علي حمد الله،.

4. أبو الفتح عثمان ابن جني،(2003)، الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، المجلّد الأول، ط2، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
5. تشومسكي،(1993)،المعرفة اللغوية: طبيعتها، و أصولها واستخدامها، ترجمة: محمّد فتيح، دار الفكر العربي.
6. الجرجاني عبد القاهر،(2007)، دلائل الإعجاز، ط1، تح: محمّد رضوان الداية، دمشق، دار الفكر.
7. جورج مونن،(1912)، معجم اللسانيات، ترجمة: جمال الحضري، ط1، بيروت، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع.
8. سيبويه (أبو بشر عمر بن قنبر)،(1992)، الكتاب، ط1، ج1، تح: عبد السلام هارون، بيروت،دار الجيل.
9. السيوطي جلال الدين،(1426)، الاتفاق في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، السعودية ، وزارة الشؤون الإسلامية والإرشاد.
10. الشيخ محمد الطنطاوي، نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة، ط2، القاهرة، دار المعارف.

المراجع:

1. أحمد مومن، 2008،اللسانيات، النشأة و التطور، ط4، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
2. حسن خميس سعيد الملخ،(2000)، نظرية التحليل في النحو العربي بين القدماء و المحدثين، ط1، عمان، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع.
3. حليمة أحمد محمّد عمايرة،(2006)،الاتجاهات النحوية لدى القدماء، دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ط1، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع.
4. عادل فخوري، اللسانيات التوليدية التحويلية، منشورات لبنان.
5. عبده الراجحي،(2000)، التطبيق النحويّ، ط2، الإسكندرية، مصر، دار المعرفة الجامعية.
6. عبده الراجحي،(1979)،النحو العربي و الدرس الحديث، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة و النشر.
7. على الزوين،(1986)، منهج البحث اللغويّ بين التراث و علم اللغة الحديث، ط1، بغداد.
8. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية، القاهرة.
9. نهاد الموسى،(1987)،نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللّغوي الحديث، ط2، الأردن، عمان، دار البشير.

الدوريات:

1. جون سيول، تشومسكي و الثورة اللغوية، الفكر العربي، العددان: 8-9.
داود عبده، التقدير و ظاهر اللفظ، الفكر العربي، العددان: 8-9.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. Chomesky, (1972),Aspects of the teory syntasc, the M.it, press eigth printing.

الهوامش :

[1] - أحمد مومن، اللّسانيات، النشأة و التطوّر، ط4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 202.

[2] - المرجع نفسه.

[3]- Chomesky, Aspects of the teory syntasc, the M.it, press eigth printing, 1972, P : 3-18. (بتصرف).

[4] - ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ط2، مطبعة الإمام، مصر، د.ت، ص 29.

[5] - علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث ، ط1، بغداد، 1986، ص 45.

[6] - نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغويّ الحديث، ط2، دار البشير، الأردن_عمان، 1987م، ص 53.

[7] - ابن جني، الخصائص، ج1، ص 88.

[8] - الشيخ محمّد الطنطاويّ، نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة، ط2، دار المعارف، القاهرة، ص 13.

[9] - ابن جنّي، الخصائص، المجلّد الأوّل، ص 88.

[10] - ابن جنّي، الخصائص، ج1، ص 238.

[11] - سيبويه (أبو بشر عمر بن قنبر) ت 180 هـ، الكتاب، ط1، ج1، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1992م، ص 23.

[12] - المصدر نفسه، ص 24.

[13] - أنظر: نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغويّة، القاهرة، ص 299.

[14] - السيوطي جلال الدين، الاتّفاق في علوم القرآن، ط2، تح: مركز الدراسات القرآنية، وزارة الشؤون الإسلامية والإرشاد، السعودية، 1426، ص 18.

[15] - على الزوين، منهج البحث اللغويّ بين التراث و علم اللغة الحديث، ص 45.

[16] - سيبويه، الكتاب، ج1، ص 24.

[17] - ابن جني، الخصائص، تح: محمّد علي النجّار، ج2، دار الكتب المصرية، ص 466.

[18] - جون سبيرل، تشومسكي و الثورة اللغوية، الفكر العربي، العددان 8-9، ص 126.

[19] - عادل فاخوري، اللسانيات التوليدية التحويلية، منشورات لبنان، ص 21.

[20] - سبويه، الكتاب، ص 58.

[21] - حليمة أحمد محمّد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء، ص 223.

[22] - سبويه، الكتاب، ج2، ص 123.